

# الحرب على غزة تدشن عصرا جديدا من الحروب الأبدية

## ضراوة الحرب عن بعد تدفع إلى مواجهة غير تقليدية

اكتسبت التحركات الدبلوماسية الرامية لوقف إطلاق النار في الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني قوة تدفع نحو التهدئة. وفيما يتوقع المتابعون التوصل قريبا إلى هدنة لإخماد فتيل النزاع إلا أن هذه الهدنة ستكون بمثابة استراحة مؤقتة، حيث ستكون إسرائيل وحماس مذعنتين لموجات متكررة من العنف انطلاقا من ضراوة الحرب عن بعد المشددة بينهما، إذ أن التكنولوجيا الجديدة تدفع إلى مواجهة غير تقليدية بين الأعداء دون أي احتمال لانتهاؤها.



يئزر أيس  
كاتب عمود في الشؤون  
العالمية لوكالة رويترز

لندن - في العطلة الأسبوعية الأخيرة حشدت إسرائيل قوات ودبابات على حدودها مع قطاع غزة. ومع تردد هدير محركاتها في مختلف أنحاء القطاع بدأ أن يتحدث عسكريا إسرائيليا يؤكد لوسائل الإعلام الدولية أن عملية عسكرية برية في الطريق.



التكنولوجيا الجديدة تدعم استمرار العنف، بما في ذلك الطائرات المسيّرة «المتسكعة» الإسرائيلية التي تحلق فوق ساحة المعركة بحثا عن أهداف

لكن لم يكن هذا هو الحال. فقد أرادت إسرائيل أن تعتقد حركة حماس أن غزوا برية في الطريق حتى يسرع مقاتلوها إلى مواقعهم القتالية في الإنفاق، بحيث يمكن أن تستهدفهم الطائرات المسيّرة والطائرات الحربية الإسرائيلية. إذ تفضل إسرائيل أن تشن حربها عن بعد بسبب ما أصيبت به من خسائر بشرية في عمليات غزو سابقة لغزة منذ سيطرة حماس على القطاع في 2007.

ومنحت التكنولوجيا معنى جديدا للحروب اليوم، ولم يعد الصراع الدائر حاليا في الأراضي الفلسطينية بشكله التقليدي، بل بمفهوم آخر مختلف يستفيد من التطور الرقمي. على سبيل المثال: تقوم إسرائيل بتدمير بنايات بقنابل فراغية في حرب تدار من مراكز رقمية وطائرات تحلق على ارتفاعات شاهقة ولا ترى بالعين، مع ذلك تضرب أهدافها بدقة. وبذلك تضع التكنولوجيا الجديدة الخصوم في مواجهة مستمرة ومتكررة، ولن تكون محاولات التهدئة إلا مؤقتة وستكون النتائج معلقة، وسيجدد النزاع في مرات أخرى.

وبينما تستعد القوات الأميركية للانسحاب من أفغانستان بعد 20 عاما تطرح حرب إسرائيل «الأبدية» في غزة تصورا عما يمكن أن تكون عليه حملة عسكرية طويلة بقوات غير برية. وفي أفضل الأحوال يقول أنصار إسرائيل إن حملتها تعد من أدق الحملات في التاريخ الحديث، إذ أن عدد القتلى البالغ نحو 200 قتل أغلبهم من الفلسطينيين منخفض بشكل لافت للنظر في ضوء حجم قوة النيران المستخدمة. غير أن الحملة تطرح في أسوأ الأحوال نظرة مزعجة على مستقبل عديمي توجه فيه الدول القوية ضرباتها لأعدائها عن بعد دون أدنى اعتبار للوضع على الأرض. وربما كان الأكثر مدعاة للقلق أنها تشير إلى عصر من الصراع اللانهائي يتميز بموجات دورية من العنف دون أي احتمال لانتهاؤها.

وسحبت إسرائيل قواتها ومستوطناتها من غزة في 2005 قبل أن تحاصر القطاع بعد عامين وذلك بعد أن انتزعت حركة حماس السيطرة عليه من خصومها في السلطة الفلسطينية. ومنذ ذلك الحين تحاصر إسرائيل غزة فعليا

وتخفق اقتصادها كما شنت حروبا في 2008-2009 وفي 2012 وفي 2014 على المتشددين الذين يطلقون الصواريخ عليها. وفي حين أن عدد القتلى حاليا أقل منه في حروب غزة السابقة، فإن ضراوة الحرب عن بعد من الجانبين شديدة. وقد أطلقت حماس بنجاح صواريخ طويلة المدى على وسط إسرائيل وذلك على نطاق غير مسبوق رغم أن دفاعات «القبة الحديدية» الإسرائيلية اعترضت معظمها. ورغم أن حملات إسرائيل العسكرية واسعة النطاق في غزة سابقا تضمنت عنصرا برسيا فقد تحققت تلك الحملات بتمن باهظ سواء من حيث الخسائر في الأرواح أو من حيث سمعة إسرائيل. أما هذه المرة فيبدو أن إسرائيل تعتقد أن بوسعها تحقيق كل ما تريده عن طريق الجو، وذلك رغم أنه لا يوجد تقريبا من يعتقد أن هذه ستكون آخر تلك الحملات. بدلا من ذلك يبدو أن إسرائيل وحماس مذعنتان لموجات متكررة من العنف تبني فيها حماس قدرتها على ضرب إسرائيل وتكفيها فيها إسرائيل حماس من حين إلى آخر في غزة لتقليل قدراتها، أو ربما كان الوصف الأقرب هو أنهما ملتزمتان بذلك.

وهذا نهج تدعمه التكنولوجيا الجديدة بما في ذلك الطائرات المسيّرة «المتسكعة» الإسرائيلية التي تحلق فوق ساحة المعركة بحثا عن أهداف وهو نهج له مزايا سياسية. وربما تستخدم واشنطن هذا النهج في استهداف أفغانستان وخاصة إذا ما مُنحت الحكومة الأفغانية المزيد من الخسائر على الأرض أو على أسوأ الافتراضات خسرت البلاد كلها لصالح حركة طالبان.

وحتى الآن لا تزال الولايات المتحدة وفي أفغانستان، مثل فرنسا في معاركها في مواجهة التطرف الإسلامي في غرب أفريقيا، تركز إلى حد كبير على العمل مع القوى المحلية واستخدام مستشارين لصد



### المدافع ستصمت مؤقتا

جماعات مثل تنظيم الدولة الإسلامية. غير أن تصور تحولها إلى نهج أكثر شبيها ما يجري في غزة أبعد ما يكون عن المستحيل وذلك باحتواء الأعداء في منطقة ثم توجيه ضربات لهم بلا رحمة في حملات عسكرية متواصلة أو متقطعة. وفي حين أن نة الهجمات الإسرائيلية تخصصت في ما يبدو وأن مبان كثيرة لم تقصف إلا بعد صدور تحذيرات متلما حدث في حالة المبنى الذي يضم مكتب وكالة أسوشيتد برس في غزة، فإن العواقب على سكان غزة لا تزال وخيمة. ورغم تنامي الأمل في وقف إطلاق

النار تحت الضغط الدولي فإن ذلك لن يؤدي إلى تحسين الوضع لسكان غزة. فقد دمر الحصار المستمر منذ 14 عاما اقتصاد القطاع ومن المفارقات أنه رسخ الجو، وذلك رغم أنه لا يوجد تقريبا من يعتقد أن هذه ستكون آخر تلك الحملات. بدلا من ذلك يبدو أن إسرائيل وحماس مذعنتان لموجات متكررة من العنف تبني فيها حماس قدرتها على ضرب إسرائيل وتكفيها فيها إسرائيل حماس من حين إلى آخر في غزة لتقليل قدراتها، أو ربما كان الوصف الأقرب هو أنهما ملتزمتان بذلك.

حين أن أفعال إسرائيل ترسخ الدعم لحركة حماس في غزة في مواجهة منافسيها في السلطة الفلسطينية. ولم يكن للضغط الدولي لتسوية هذه المواجهة بشكل أعم أي فعالية على الإطلاق تقريبا، ويبدو أن إسرائيل تعتقد أن بإمكانها أن تتصرف ببلادة على نحو متزايد إزاء الرأي الخارجي.

وخلال الأسبوع الجاري ستسكت المدافع على الأرجح لكنها ستكون استراحة مؤقتة وفي غضون أشهر أو سنون على الأرجح ستحدث مواجهة مماثلة من جديد. وإذا كان ذلك هو نمط حروب أخرى في العالم في السنوات القادمة فسيكون اتجاها مأسويا.

## ارحلوا سنقصف: تحذير ما قبل الموت للفلسطينيين

صاروخا صغيرا فارغا على السطح لنيلع المدنيين أن عليهم إخلاء المبنى. نراقب الوضع للتأكد من مغادرتهم. عندما تتكون لدينا قناعة صلبة بأن المبنى أخلي نطلق النار.

وفي حين يشدد هذا المسؤول بشكل رئيسي على أن «أسبابا أخلاقية» تدفع الجيش إلى «الحد من الأضرار الجانبية



ما نذب أطفال غزة

والرسائل النصية القصيرة وحتى إلقاء المنشورات.

ومنذ ذلك الحين باتت قمرات قيادة الطائرات مجهزة بكاميرات فيما يبث الجيش بانتظام مقاطع مصورة تظهر استخدام هذا التكتيك على الأرض.

وأوضح مسؤول في سلاح الجو الإسرائيلي لوسائل إعلامية «توجه

القدس - يلجأ الجيش الإسرائيلي قبل بعض عمليات القصف إلى ما يعرف باسم «روف نوكينغ» (الفرع على السطح) لتحذير القاطنين لإخلاء مبنى قبل ضربة وشيكة وهو تكتيك منضبط للجلل تحاول إسرائيل استخدامه في وجه اتهامها باستهداف مدنيين.

وبعد ظهر السبت الماضي، تلقى جواد مهدي الذي يملك برجا تجاريا يضم مكاتب ووسائل إعلام عالمية في قطاع غزة المحاصر من قبل إسرائيل منذ حوالي 15 عاما، اتصالا هاتفيا من ضابط إسرائيلي. طلب منه الضابط بالعربية تنظيم إخلاء المبنى في غضون ساعة. حاول مالك المبنى التفاوض للحصول على مهلة أطول إلا أن البرج المؤلف من 13 طابقا الذي أخلي وسط أجواء نذر، دُمّر بعد ساعة على الاتصال.

استحدث الجيش الإسرائيلي هذه الوسيلة «روف نوكينغ»، اعتبارا من عام 2009 واعتمدها الجيش الأميركي في 2016 في العراق. ووضع تكتيك إطلاق صاروخ تحذيري هذا في صلب عمليات التواصل الحربي ووسعها لتشمل النداءات

## عن أبجديات الصراع العربي - الإسرائيلي ومآلاته

يهوديا؛ فالكل مجند لخدمة جيش يخشى حجرا من شاب فلسطيني اغتصبت أرضه أو طرد من بيته. واعتبار الحرب دينية مقدسة يعمي العقول عن رؤية تباينات في نسج يهودي يضم يهود فلسطين، وأصوليين ثوراتيين يرفضون فكرة «الدولة اليهودية»، وأطياف اليسار المتعاطف مع الحقوق الفلسطينية، ومجندين استيقظت ضمائرهم سواء بقوا في فلسطين أو غادروها.

هذه العودة إلى ثنائية الاحتلال والمقاومة ستضغط على ضمير العالم؛ فيوافق الفلسطينيون على حقه في مقاومة احتلال يدعي ممارسة «الدفاع عن النفس». هذه العودة تفيق الغافلين العرب الذين تدفعهم الهزيمة النفسية إلى القبول بامر يرونه أبديا بسبب فقر الخيال، ويسمونهم الواقعية، والأصح أنها وقائعية متغيرة، ويتساعلون بسذاجة؛ وماذا تفعل في الإسرائيليين بعد تحرير فلسطين؟ أمامهم تجربة جنوب أفريقيا في استيعاب السود والبيض. وفي دولة فلسطين الواحدة يتساوى الجميع بمن فيهم اليهود الأصليين، وغيرهم ممن يريدون البقاء في دولة علمانية لا يمتاز فيها مواطن عن آخر بسبب دينه، مع إتاحة حق العودة للفلسطينيين في الشتات. واحتراما للتاريخ ولذاذكرة يكون اسمها «فلسطين»، لماذا فلسطين؟ لأن الناس يتشوش، ويؤدي إلى القناعة بقليل يتاح، ويضلل فتغير الخطاب والعنوان والمفاهيم، ويصير الأمر كله «سلطة»، ففي الفيلم التسجيلي «سلطة بلدي»، قالت راندا شعث إنه لا يهم أن تحمل الدولة

المشوهة اسم «بليخ». ولكننا لا نعرف لهذه «البلاد» اسما آخر غير فلسطين؛ فمن يرضى بالبليخ سيرضى بإسرائيل المستحقة المقاومة وهي اسم للدولة، أو ككبان احتلالي تتيح القوانين الدولية مقاومته بكل السبل. لم تكن الجزائر لتتحرق إلا عبر جسر طوله مليون ونصف المليون شهيد، وما كان عربي واحد يلتمس العذر للجيش الفرنسي المحتل في «الدفاع عن النفس»، ولم يستنكر أحرار العالم استهداف المقاومة الجزائرية لآماكن تجمعات المستوطنين الفرنسيين.

تسيخ خطاب ثنائية الاحتلال والمقاومة في المحافل والحاكم الدولية يسقط عن العدو راية «الدفاع عن النفس»، ويقدمه إلى العالم عاريا قاتلا يواجه ضحاياها بالأت عسكرية، ويكشف الغطاء الأخلاقي الزائف عن ممولى مرتزقة يعارسون «إرهاب الدولة» مستترين بقناع ديني. لا دين للمرتزقة، إنهم الات لتفنيذ مهام قذرة يتحفف القاتل الأتنيق عن توليدت يديه بها. وبعد انتهاء الدور الوظيفي لإسرائيل تجاه منشئها البريطانيين، تعهدتها الولايات المتحدة بالرعاية، ولو صعدت الصين غدا ستكون إسرائيل كيانا وظيفيا يحمي مصالحها. كان عدوان 1956 كاشفا للراعي البريطاني السابق وغريمه الفرنسي، وأما الراعي الحالي فلم يسمح للكيان الوظيفي، عام 1991، بالرد على صواريخ صدام حسين، فأذغت إسرائيل. في الحرب يتراقف الحجر والصاروخ والرسم على الجدران والإدانة الأخلاقية. لا تزعم إسرائيل عنصريتها، بل إدانتها بهذه العنصرية. في عام 1975 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم 3379، ويقول «الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري».

تزامن القرار مع توجه مصر نحو المدار الأميركي الإسرائيلي، ويتلقى الطرفان المصري والإسرائيلي معونة أميركية، وضمت إسرائيل حياض مصر كلما اعتدت على الفلسطينيين، أو قررت شن هجمات على لبنان وسوريا والعراق والسودان. في غيبوبة مصر، تسدل العدو إلى دول أفريقية كانت ظهيرا للقاهرة. وأثمر «السلام» نجاح الراعي الأميركي، عام 1991، في إلغاء قرار اعتبار الصهيونية حركة عنصرية. حي الشيخ جراح أفاق العالم.

تدوين الصراع يخدم عنصرية إسرائيل، ويسوغ إصرارها على إقصاء غير اليهود من فلسطين المحتلة، ليكون الكيان يهوديا خالصا. والعودة إلى أصل الأشياء تضع العالم أمام ثنائية الاحتلال والمقاومة. ما حدث في فلسطين احتلال عسكري لم يهنا فيه بالأمان جيش الاحتلال ولا المجتمع، إذا قلنا تجاوزا إن هناك مجتمعا

سعد القرش  
روائي مصري

الأحداث الجارية في فلسطين المحتلة لن تنتهي بنصر قريب، ولكنها تركت آمالا ووعودا بنصر قادم، مؤجل إلى حين، ولعل الجيل الحالي يدرك حصاه. أهم ما أكده شهر مايو 2021 هو الوعي، الذي تم تزييفه منذ ما قبل النكبة، بوجود كيان عسكري عنصري يجسد نزوة التمثيلات الاستعمارية، ويعيد التذكير بماض كربه ظل أحرار العالم أنه صار تاريخا، فإذا بهم يرون عنوانه الأخير. وكان هذا الوعي الإنساني ينتظر حدثا عنصريا يستند إلى حكم محكمة بطرد أهالي حي الشيخ جراح بالقدس المحتلة؛ لكي تتوارى الرواية الصهيونية، ويتبين للعالم ربما للمرة الأولى أن إسرائيل تسلك «إرهاب الدولة»، وأن في فلسطين الحالة الصهيونية لا تستهدف فلسطين وحدها. هي استعمار صريح يستهدف العالم العربي، ويوهم السلام نجاح في تحييد مصر، فانفرط العقد. ومن الغفلة أن يعتمد الخطاب الإعلامي والسياسي مصطلح «الصراع الإسرائيلي الفلسطيني»، وهو مصطلح دقيق في ما يخص استفراء إسرائيل بالفلسطينيين الذين أدركوا أنهم وحدهم في المعركة، وأن «الانشقاق» لا يملكون إلا الدعم المادي وإعادة الإعمار، ولا يجراون على تسمية الأشياء باسمائها، ولو بخطاب مراوغ يجيده رجب طيب أردوغان، وتلهب به «حماس» الشارع العربي حتى الرفض للحماس التركي. فمُنذ عام 2002 يلحون إلى حد التوسل على مصطلح «الأرض مقابل السلام»، وحل الدولتين. وافاقهم صفة تنبأها عام 2020 بأن «السلام مقابل السلام».

يجري حاليا وسم العدوان والصراع بطابع ديني. أستدعي لتجميع مقاطع فيديو من تفسير محمد متولى الشعراوي آيات قرآنية، تنعش وسائل التواصل الاجتماعي، وتتلج صدور المؤمنين بتدين الصراع العربي الإسرائيلي. يرهن الشعراوي «النصر على اليهود» بعودة المسلمين «عبادا لله»؛ فيهلل له جمهوره المستنبل، فيستجيب للاستحسان الجماهيري قائلا «ادخلوا المسألة على أنها أمر ديني، وليست أمرا عربيا ولا سياسيا». والأخطر من ذلك قوله إن «بعض العارفين الذين يعتقد قريبهم من الله حينما أخبرنا بأن اليهود دخلوا بيت المقدس سجد لله»، لتحقق أية تجمّع اليهود في مكان واحد، فسسهل على المسلمين هزيمتهم. ولعله يشير إلى سجوده لله شكرا، حين بلغه خبر هزيمة 1967.

ففي مقابلة أذاعها التلفزيون المصري في نهاية الثمانينات، قال الشعراوي لطارق حبيب إنه علم بالهزيمة وهو في الجزائر؛ فسجد لله شكرا، فرحت أننا لم نتنصر ونحن في احضان الشيوعية، لأننا لو نصرنا ونحن في احضان الشيوعية، لأصبنا بقفنة في ديننا، فربنا نُرْهنا». وما يثير الأسى هو سحر عابر للأجيال تمارسه روح الشعراوي في مصالحة شيعة على سلوك استعماري، قائلا إن سياسات بريطانيا والولايات المتحدة وغيرها من الدول «المعادية للإسلام»، منذ وعد بلفور، ما هي إلا «خدمة لفضية الإسلام». نظرة قاصرة عن إدراك أن اليهود في فلسطين المحتلة أقل من نصف يهود العالم، وأن أعدادهم في الولايات المتحدة تقترب من أعدادهم في فلسطين.

تدوين الصراع يخدم عنصرية إسرائيل، ويسوغ إصرارها على إقصاء غير اليهود من فلسطين المحتلة، ليكون الكيان يهوديا خالصا. والعودة إلى أصل الأشياء تضع العالم أمام ثنائية الاحتلال والمقاومة. ما حدث في فلسطين احتلال عسكري لم يهنا فيه بالأمان جيش الاحتلال ولا المجتمع، إذا قلنا تجاوزا إن هناك مجتمعا

تدوين الصراع يخدم عنصرية إسرائيل، ويسوغ إصرارها على إقصاء غير اليهود من فلسطين المحتلة، ليكون الكيان يهوديا خالصا. والعودة إلى أصل الأشياء تضع العالم أمام ثنائية الاحتلال والمقاومة. ما حدث في فلسطين احتلال عسكري لم يهنا فيه بالأمان جيش الاحتلال ولا المجتمع، إذا قلنا تجاوزا إن هناك مجتمعا

تدوين الصراع يخدم عنصرية إسرائيل، ويسوغ إصرارها على إقصاء غير اليهود من فلسطين المحتلة، ليكون الكيان يهوديا خالصا. والعودة إلى أصل الأشياء تضع العالم أمام ثنائية الاحتلال والمقاومة. ما حدث في فلسطين احتلال عسكري لم يهنا فيه بالأمان جيش الاحتلال ولا المجتمع، إذا قلنا تجاوزا إن هناك مجتمعا

تدوين الصراع يخدم عنصرية إسرائيل، ويسوغ إصرارها على إقصاء غير اليهود من فلسطين المحتلة، ليكون الكيان يهوديا خالصا. والعودة إلى أصل الأشياء تضع العالم أمام ثنائية الاحتلال والمقاومة. ما حدث في فلسطين احتلال عسكري لم يهنا فيه بالأمان جيش الاحتلال ولا المجتمع، إذا قلنا تجاوزا إن هناك مجتمعا